

## الإمارات تنجز أضخم موسوعة عربية للتراث الشعبي

مصطفى جاد: لدينا ملايين المواد التراثية المتناثرة والتي لم تحظ بجهد تنظيميها



للشعوب العربية تراث ثقافي ثري وغني ومتنوع تنوع الأقطار العربية من المحيط إلى الخليج، لكن لم تقع العناية بهذا التراث خاصة غير المادي، لذلك هو عرضة لخطر الاندثار، وهو ما يتصدى له الكثير من الباحثين العرب، ومنهم الباحث المصري مصطفى جاد، الذي أعد مشروعاً عربياً ضخماً بعنوان "مكتز التراث الثقافي غير المادي". "العرب" كان لها هذا اللقاء مع جاد حول أهمية المكتز وماهيته.

محمد الحماصمي  
كاتب مصري

يشكل "مكتز التراث الثقافي غير المادي" المختص بالتراث الشعبي في العالم العربي في أجزاءه الثلاثة والصادر عن معهد الشارقة للتراث، ثمرة جهد وطموح وحلم وسنوات طويلة من العمل الدؤوب للدكتور مصطفى جاد حتى إذا اكتمل شارك في مراجعته 150 من خبراء التراث الشعبي والأنثروبولوجيا والفنون في العالم العربي الذين ناقشوا وعلقوا وصوبوا، وكل ذلك جنباً إلى جنب الجهود التي بذلتها فرق العمل بالمعهد بقيادة الدكتور عبدالعزيز المسلم رئيس المعهد، وبالإلتقان التنظيمي للدكتور محمد حسن عبدالحافظ المدير الأكاديمي في المعهد، ومعه أعضاء فريق الإدارة الأكاديمية.

العرب لديهم ثروة هائلة من التراث الشعبي لكننا حبيسة الشرائط أو الأقراص الممغنطة أو الصور أو الأفلام

بالمادة التراثية ليسهل استرجاعها مرة أخرى في وسائطها المصورة والمرئية والسمعية والمدونة. والمكتز في صورته الورقية مرتب ترتيباً موضوعياً في مجلد وترتيباً هجائياً في مجلد ثان، حتى يسهل العثور على رقم التصنيف الخاص بالعنصر التراثي المراد توثيقه. ويقوم المؤلف باستخدام المكتز في التعرف على التصنيف الموضوعي للعنصر التراثي، وكذا التعرف على رقم هذا العنصر، ثم يقوم بعد ذلك بإدخال ما لديه من معلومات حول هذا العنصر بقاعدة البيانات الرقمية. أما الموسوعة، أو دائرة المعارف، فهي تحتوي على المادة العلمية التي يزيداها مباشرة في ترتيبها الهجائي، وليست وسيلة للتكثيف أو التوثيق. ومثال ذلك إذا بحثنا عن موضوع مثل "خيال الظل" في المكتز والموسوعة.

ويضع جاد تعريفاً علمياً لمكتز التراث الثقافي غير المادي بأنه "قائمة بالوصفات المرتبطة بالتراث الثقافي غير المادي (التراث الشعبي) وعلاقتها التكافئية والهيمية والترابطية، ويكون ترتيب وعرض الوصفات وعلاقتها بما يخدم بكفاية وفعالية في تحليل محتوى المادة التراثية، وتستخدم واصفات المكتز في تكتيف واسترجاع عناصر التراث الشعبي بوسائطها المتعددة".

يرى جاد أن الثقافة الشعبية العربية تحفل بالآلاف العناصر التي تحوي كمّاً من التفاصيل والعلاقات التي من الصعب الوقوف عليها أو قراءتها أو تحليلها، دون أن نمتلك أدوات منهجية قوية لتوثيقها وحفظها وإثباتها. مثلاً ترتبط عادات الزواج - راسياً - بعادات الخطوبة، والمهر، وتقديم الشببة، والدخلة... إلخ، كما ترتبط - أفقياً - بعناصر التراث الشعبي الأخرى كالموسيقى والأغاني التي تؤدي في احتفالية الزواج، والمعتقدات الخاصة بحماية العروسين، وفنون الفرجة، والرقصات الشعبية أثناء الزفاف، وفنون الزينة والحلي للعروس، وغيرها.

ومن ناحية ثانية، يؤكد أن هذه العناصر تتداخل مع عناصر أخرى عبر المكان، فتجد تنوعاً ثقافياً في عنصر ما في بيئات عدة، كما نجد تشابهاً أو اختفاءً لعنصر آخر. أما إذا توسعت الرؤية خارج النطاق المحلي، فسندجد أننا أمام كم لا حصر له من التوزيعات الثقافية للعنصر الواحد إذا تتبعنا مساراته من الخليج العربي، فالشام، مروراً بمصر والسودان وشرق أفريقيا، وصولاً إلى شمال أفريقيا. ومن ناحية ثالثة، يتدخل عامل الزمن، فتكتشف

عناصر من الثقافة الشعبية لا تزال تعيش بينما رغم مرور السنين، وقد نقت على عناصر أخرى كانت حية بين الجماعة الشعبية في زمن ما، غير أنها اختفت من الذاكرة تماماً، وقد نقت على عناصر تطورت وتحوّرت وتبدلت ووظائفها وعاشت بينما في توب جديد. وعلى المستوى الميداني تحمل الجماعات روايات متعددة ومتداخلة حول تراثها الشعبي في صورة حكاية، أو سيرة شعبية، أو معتقد، أو ممارسة شعبية، أو فنون، أو حرف تقليدية... إلخ. كما تحفظ الدراسات المنشورة والوسائط المسجلة بانواعها كمّاً هائلاً من المواد التي تحتاج لمنهج توثيق علمي رصين لإثباتها.

يؤكد جاد أن هذا المكتز جاء ليكون الإداة المنهجية لعمل قاعدة بيانات توثق جميع ما ذكرناه، حتى يسهل استرجاعها في أي وقت. ويرى جاد أن فكرة "مكتز الفولكلور العربي" ظلت متناثرة في بعض الدول العربية، واكتفت بعضها بمحاولات إعداد مكانز وطنية، ومن بينها المغرب والأردن والإمارات وسوريا، مما جعلنا نتخذ مساراً آخر لتحقيق حلم إعداد هذا المكتز، وهو المشروع في مجموعة من ورش العمل في جولات علمية ببعض

الحلم تحقق بفضل جهود الباحثين والمؤسسات المهتمة في الشارقة

المكتز موضوعياً وعدادياً، وهو ما نلاحظه في التصنيفات الهرمية المتعددة والمعقدة بالمكتز وعلاقتها الترابطية. إلى جانب التشعب الجغرافي بكل بلد عربي، والذي نتج عنه 12330 واصفة مستخدمة، و9130 واصفة غير مستخدمة وخارج السياق، ويحوي القسم الهجائي جميع واصفات المكتز - المستخدمة وغير المستخدمة - وقد توزعت الوصفات بالمكتز حسب طبيعة كل مجال من المجالات السبعة في القسم المصنف، ليصل مجموع وصفات المكتز إلى 21460 وصفة.

ويؤكد جاد أننا نملك ثروة هائلة من تراثنا الشعبي في معظم مؤسساتنا العربية، غير أنها محفوظة في شرائط أو أقراص ممغنطة أو صور أو أفلام، وغيرها. وقد يتم عمل قاعدة معلومات مصغرة في هذه المؤسسة أو تلك، غير أننا لم نصل بعد لمرحلة أرشيف عربي يمكننا أن نتواصل معه، على نحو ما نجده في المواقع العالمية التي تنتشر موادها التراثية على قواعد معلومات متقدمة.

ويعد مشروع المكتز العربي في صورته الإلكترونية حلقة فارقة في جمع عناصر التراث الشعبي المتفرقة في مؤسساتنا العربية، وسيتم إتاحتها للجميع في أنحاء العالم، وهو حلم اقترب من التحقيق بصدور هذا المكتز الذي احتضنه خبراء التراث الثقافي والأنثروبولوجيا وعلم المعلومات في العالم العربي.

الامر الذي جعلنا نحدد الإطار الموضوعي للتصنيف بسبعة مجالات رئيسية، ولم يختلف التصنيف الذي اقترحناه هنا عن الاتجاه العالمي الذي طرحه اليونسكو في مجالات التراث الثقافي غير المادي، فقط قمنا بإجراء بعض التعديلات التي تساهم في الحالة العربية، وقد جاء المجال الموضوعي للمكتز العربي كالتالي: 1. المعارف موضوعات التراث العامة. 2. المعارف والممارسات المتعلقة بالطبيعة والكون (المعتقدات والمعارف الشعبية). 3. الممارسات الاجتماعية والتقاليد والشعائر (العادات والتقاليد الشعبية). 4. أشكال التعبير الشعبي (الأدب الشعبي). 5. فنون وتقاليد أداء العروض (فنون الأداء الشعبي). 6. فنون التشكيل الشعبي. 7. المهارات المرتبطة بالفنون الحرفية التقليدية (الحرف والمهن والأدوات).

ويرى جاد أن إعداد أي مكتز في أي من مجالات المعرفة يرتبط بحجم الإنتاج الفكري في هذا المجال، ومن هنا تتعدد أقسامه، وتفرعاته، وعدد واصفاته، وعلاقتها الهرمية والترابطية. وإذا تناولنا حجم الإنتاج الفكري في مجال التراث الثقافي غير المادي في العالم العربي، نجد أننا أمام ملايين - والتي لم تحظ بجهد تنظيميها في إطار منهجي حتى نتفهم من استرجاعها. وقد انعكس هذا الحجم الهائل من الإنتاج الفكري للتراث الثقافي غير المادي، على حجم

الدول العربية، فضلاً عن الإشتراك في بعض المشاريع التي من شأنها أن تخدم الإطار المنهجي للمكتز. وقد تحقق جانب مهم في هذا الإطار بتأسيس قسم "مناهج الفولكلور وتقنيات الحفظ" بالمعهد العالي للفنون الشعبية بالقاهرة، والذي تم من خلاله تدريب عشرات الطلبة على كيفية جمع وتوثيق عناصر التراث الشعبي باستخدام منهج المكتز، فضلاً عن تدريس بعض المواد العملية في هذا الإطار. هذا إلى جانب الجهد الذي بدأناه منذ عام 1999 حتى عام 2011 بتدريس مادة أرشيف الفولكلور بعدة كليات.

## حلقة فارقة

حول المراجعات العربية للمكتز، يقول جاد "لم يكن من الطبيعي أن نتّم دعوة جميع الخبراء العرب المهتمين بالتراث الثقافي غير المادي وتوثيقه إلى ورش المراجعة الثلاث، غير أن الأمر فاق حدود الخيال عندما تصدى الكثير من الخبراء في ربوع المنطقة العربية للمشاركة في عمليات المراجعة. وهذه المبادرة المهمة التي تصدى لها معهد الشارقة للتراث لإنجاز هذا المكتز، تُخرج المكتز من مجرد أداة منشورة أو قاعدة بيانات للاسترجاع، إلى مشروع مؤسسي عربي".

ويشير جاد إلى أن التصنيف الموضوعي في المكتز العربي ارتبط بتوسع المجالات المرتبطة بالتخصص،

## تطوان تحيي بالمرسح الذكرى الثانية لرحيل الشاعر الميموني



إلى أن الشاعر محمد الميموني قد كتب هو الآخر مسرحيتين شعريتين، الأولى بعنوان "الغيث" والثانية "آخر أعوام العقم"، وقد صدرتا ضمن عمله الشعري الأول الذي يحمل عنوان تلك المسرحية "آخر أعوام العقم"، الأمر الذي يحمل أكثر من دلالة، حين يحمل الديوان الأول للشاعر عنوان قصيدة مسرحية.

ويقدر ما تأثر الميموني وصديقه البياتي في العراق، وغيرهما، بلوركا وجيل 27 الإسباني، بقدر ما كان لوركا نفسه قد تأثر بالشعر العربي، وهو الذي ألقى محاضرة تعود إلى سنة 1922 عن شعر ابن الزيات وسراج الوراق وعمر الخيام. كما كان صاحب "الأناسيد الغجرية" دائم التردد على خزنة الدائرة الفنية في غرناطة، والتي تضم دواوين مختلف طبقات الشعراء الأندلسيين، أمثال ابن حزم وابن شهيد وابن زيدون وابن قزمان. وفي "ديوان التماريت" الذي ترجمه محمد الميموني، وهو الديوان الأخير للشاعر، انتقل لوركا إلى درجة

كتبتا شهيراً قبل إعدامه على يد فاشية النظام الدكتاتوري لفرانثيسكو فرانكو، لدى مدخل قرية الفكار في إقليم غرناطة. والمسرحية التي تستكمل ثلاثية لوركا المسرحية، بعد مسرحية "عرس الدم" 1932، ومسرحية "يرما" 1934، إلى جانب تسع مسرحيات أخرى كتبها لوركا، من بينها مسرحية تاريخية هي "ماريانا بينيدا" ومسرحية كوميدية مثيرة بعنوان "الإسكافية المدهشة". مع الإشارة

حول "لوركا والثقافة العربية"، الذي أقامته وزارة الثقافة المصرية بالتعاون مع وزارة الثقافة الإسبانية ومعهد ثرفانتيس سنة 1998، إلى جانب الشاعر الطلواني محمد الصباغ والشاعر المهدي أخريف والباحث أحمد الكسون، رفقة عدد من المستعربين والباحثين الإسبان، وباحثين من العالم العربي.

في سياق العلاقة بين لوركا والميموني، والصلات الفنية الأصيلة ما بين الشعر والمسرح، يشهد ملتقى تطوان حول "الشعر والمسرح" عرض مسرحية "أنا وبناتي"، لفرقة مسرح MY B ART، المقتبسة عن النص المسرحي الشهير لغارسيا لوركا "بيت برناردا والبا"، والتي

تطوان (المغرب) - تنظم دار الشعر بطوان الدورة الأولى من ملتقى الشعر والمسرح، يوم السبت 19 أكتوبر الجاري، في مسرح دار الثقافة بطوان، ابتداء من السادسة والنصف مساءً.

ويقيم هذا اللقاء تخليداً للذكرى الثانية لرحيل الشاعر المغربي محمد الميموني، بمشاركة الباحث المغربي في الآداب الإسبانية مصطفى عديلة والباحث الإسباني أنطونيو رويس ريبس والكاتب والصحافي المغربي محمد بوخزار، والذين سيقدّمون شهادات عن تجربة الشاعر الراحل في الشعر والحياة، وعلاقته بالشاعر الإسباني الكبير فيديريكو غارسيا لوركا.

ويبقى الميموني من أهم مترجمي لوركا، وقلما كتب عنه أكثر من دراسة نقدية. كما تأثرت قصيدة الشاعر الأندلسي والإنسانية فيديريكو غارسيا لوركا، مثلما جمعها عشق غرناطة وابنتها تطوان. وكان محمد الميموني في طليعة المشاركين مؤتمراً القاهرة

في سياق العلاقة بين لوركا والميموني وما بين الشعر والمسرح، تقدم دار الشعر عرض مسرحية «أنا وبناتي»